

الصليبية - وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في ذلك الوقت في صراع الحياة أو الموت مع ملوك الفرنج قد بلغ به الجدة أن كان يتمثل بقول عبد الله بن الزبير وهو يصارع الاشر النخعي في موقعة الجمل مصارعة من لا يريد هودة ، إذ قال :

اقتلونني وما لكما واقتلوا مالكما معي
وكان الفرنج قد جمعوا جموعهم وحشدوا حشدهم أمام عكاء ، وجعلوا التغلب عليها مقصد مهمهم . فكان هناك ملوك ثلاثة هم أكبر ملوك أوربا وزعماء فرسانها . وحاصروا المسلمين في ذلك الثغر من قبل البر ومن قبل البحر ، وأتى صلاح الدين من خارج المدينة يحاول رفع الحصار عن اخوانه وجنوده .

واستمرت جنود الجانبين في القتال ، وبذل كل قصاراه في النضال ، وعض على النواجذ من الأضراس . واستطالت بهم الحرب نيفاً وستين ، حتى اشتد الأمر بالمحصورين ، وعجز صلاح الدين عن أن يرفع عنهم نطاق الأعداء ، فأخذ ذلك النطاق يتضايق ويشدد ، حتى بلغت الشدة بالمحصورين مبلغاً عظيماً ، وتراخت همه الدفاع من طول الجهد وشدة القتال .

فذهب جماعة من صيادي عكاء ممن درجوا على أمواج البحر ونشأوا على أمواجه ، فعرفوا مداخله ومخارجه ، وبرعوا في اقتحام تياراته وخوض غمراته ، وعرضوا على قادة المسلمين ما في طاقهم من المساعدة في ذلك المأزق . وتساءل القادة ماذا عسى هؤلاء يصنعون في قتال العدو ؟ وماذا تراهم يستطيعون أن يرزأوا فيه ؟ فأقبل عليهم الصيادون يعرضون أن يحملوا الأخبار إلى اخوانهم المحصورين ، وأن يحملوا المال اليهم إذ استحال على السلطان الاتصال بهم ، وقالوا انهم يستطيعون أن يستتروا بجنح الليل فيسلوكوا سبيلهم بين سفن الأعداء سباحة ، فإذا ما تعذر ذلك سلوكوا بينها غاطسين في الماء كما تسلك الأسماك وتسبح الحيتان . وكان صلاح الدين في أشد الحاجة إلى الاتصال بالجنود والقواد الذين يدافعون عن المدينة ، فقبل ما عرض هؤلاء الأبطال ، وكانوا منذ ذلك الوقت لا ينقطع وافدهم من المدينة إلى عسكر المسلمين ، أو من عسكر المسلمين إلى المدينة . وكانوا لا يطلبون في سبيل ذلك جزاء ، إن هو إلا قربان يقدمونه احتساباً ، وواجب يؤدونه عن رضا وسخاء .

عيسى العوام

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

وقفت إلى جانب الطريق المسكين وقد فقد المحيطون به الأمل في حياته ، وكان رجلاً نيف على الستين ، ظل يجاهد في عمله حتى وقع وهو يدفع عربته وعليها حملها الثقيل فكان في وقته أجله ، وهو من أهل الصعيد الأعلى كما تم عليه عمامته وسحنته ، إذ كان ثوبه المهلهل لا يكاد يماسك في رأى العين ليكون آية دالة على منبت لابس ، فكان موته في جوار البحر الملح موت المهاجر الشهيد ، لا تحيط به عناية أهل ، ولا ترفه عنه شفقة البنين . ومن يدري ماذا كان يعاني ذلك المسكين قبيل ضجعته من آلام تحملها صامتاً ، وجاهد في سبيله وهي تحزه وتطعنه ؟ ومن يدري على أية حال من الضعف كان يدفع بحمله في سبيل القوت ، وسوط الجوع من ورأه يلهب ظهره ؟

ووقف حوله معي جماعة من أهل الساحل بقوامهم السمهرى ولونهم الحمري ، فكانوا يؤدون له تحية الوداع على غير معرفة ، والشفقة بادية في محياهم ، ولم يكن أحدهم خيراً منه بزة ولا مظهرها ، ولكنهم كانوا جميعاً يعرفون كنه ما في هذه الحال من عظمة لأنهم يجاهدون مثله ، ولعلمهم هاجروا مثله من بلاد قصايا في التماس الخبز وما يبلله من رقيق الأدام . « أولئك قومي بارك الله فيهمو »

وانصرفت وفي عيني دمة كما كان في عين سواي من الوقوف شفاقاً على ذلك المسكين ، وجعلت أفكر فيما تدن به الحياة لهؤلاء . هم عدة المسلمين الموعود العمل ، وهم جنود النضال . وأذكرني ذلك التفكير ببطل من هؤلاء الدهاء ذكر التاريخ اسمه ، وأقام له مثلاً هو رمز لمجهولي الأبطال ، فلسنا نعرف أهله ولا منبته . ولا نبيته عيسى العوام .

كانت تلك الرجل يعيش في تلك الثغر الشام سنة نيف وثمانمائة عام . في أيام النضال الكبير بين الشرق والغرب . أيام الحروب

٢- من روائع عصر الأحياء

حياة بنقونوتو تشاليني مكتوبة بقلمه

مثل أعلى للترجمة الشخصية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وظهر من بينهم « عيسى العوام » فكان أسرعهم سبحا وأجراًهم على الليل والنهار ، وأكثرهم إقداماً على الاخطار . فصار يهتف باسمه ، ويدعى إذا ما اشتد الخطر وادلهم الخطب . وكان هو لا يخيب ظناً ولا يخيم عند دعوة . وكانت بسالته تزداد كلما ضاقت حلقة الحصار . والتأمت فروجه واتصلت سلسلته . فكان أقر لعينه وأثلج ل صدره أن يغوص في شبر بين سفن الفرنج ، أو يسبح على مرمى سهم من نبالهم . وبقي على أداء واجبه مدة حتى طلع يوم ، وانتظر أهل عكاء طلوع عيسى عليهم من ثنايا الموج كعادته ، فلم يتحقق لهم ذلك . وطال وقوفهم وامتدت أعناقهم نحو البحر ، كلما برق لهم شيء ساج ، أو لمع لهم جسم طاف ، أشاروا إليه إشارة الملهوف ، وتوقعوا أن يكون هو عيسى ، ثم تبين لهم أنه حباب الماء أورشاش الموج ، فعادوا إلى ناحية أخرى ، فشدوا إليها أبصارهم ثم لم يلبثوا أن يجدوا خيبة لظنونهم وتكذيباً لأوهامهم . ولما طال بهم الوقوف وملوا الانتظار انصرفوا وفي قلوبهم هلع وتوقع للمحذور ، ولم تخل صدورهم من شكوك ساورتها في أمانة عيسى وديانته . وقديماً كان في الناس الطمع وأعمامهم الجشع ، وقديماً فتنهم حب المال وأغواهم شيطان الغرور . أ يكون عيسى ك بعض من خان وافتتن ؟ أ يكون عيسى ممن خذلهم نفوسهم عندما استطال بها النضال ، وانخلع فؤادهم عندما كفهر الجو وأظلم ؟ لم يرد الله أن يدع تلك الشكوك تساور ذكرى عيسى ، ورحم ذلك الرجل أن يهمس هامس عند ذكرى اسمه بما ثار في صدره من شك ، فتسود بين الناس صحيفة بيضاء عند الله . فأرسل الموج حاملاً جسمه نحو الشاطئ ، فرأى الناس بعد بضعة أيام من غيبته وانقطاعه جثته ملقاة على الشاطئ ، ولا تزال حولها أكياس الذهب التي كان بعث بها صلاح الدين معه إلى المدينة . فرأى الناس عند ذلك جثة شهيد قضى وهو يؤدي الأمانة ، وجاد بالنفس وهو في سبيل الخير والمجد .

رحم الله « عيسى العوام » ! وكم في الناس من مثل عيسى ؟ . غير أن التاريخ لا يذكر منهم أحداً إلا فلتة ليشير إلى أن بين المجهولين آلاف الألوف من أفذاذ الأبطال .

محمد فريد أبو صبر

لم ينعم بنقونوتو تشاليني بالسكينة طويلاً بعد الحوادث العاصفة التي خاضها ، وبعد أن فقد عطف البابا وحمانيته . وفي ذات يوم وقعت مشادة بينه وبين صديق قديم من مواطنيه كان برومة وكان يدينه بشيء من المال ، وسبه ذلك الصديق بألفاظ جارحة ، فغلب عليه عنفه المعهود وضربه في رأسه بحجر فسقط مغشياً عليه . وأبلغ الحادث إلى البابا ، فأمر بالقبض على تشاليني وشنقه في مكان الجريمة . ولكن تشاليني شعر بالخطر الذي يهدده ، واستطاع أن يفر من رومة في الوقت المناسب . وقصد إلى نابولي ، وأقام بها حيناً ، واتصل بدوقها وحظى بعطفه ورعايته ؛ والتقى هناك بحبيته أنجليكا الصقلية . ثم وصله خطاب من الكردينال دي مديتشي حاميهِ القديم يأمره فيه بالعودة سريعاً إلى رومة ؛ فسافر إليها في الحال ومعه أنجليكا ؛ واستقبله الكردينال بترحاب وطمأنه على نفسه وحرية ؛ وبعد أيام قلائل استطاع أن يزور البابا كلنضوس ، وأن يقدم إليه « مدالية » بديعة من صنعه ؛ ثم سأله الصفح والرعاية بكلمات رقيقة ؛ فأعجب البابا بهذه التحفة ، وأمره أن يصنع له تحفاً أخرى تمثل بعض مناظر التاريخ المقدس ، ووعدته بالعفو والرعاية . ولكن البابا لم يعيش طويلاً ليحقق وعده ، ومرض وتوفي بعد أيام قلائل ؛ وحدث على أثر موته ذلك الاضطراب الذي يحدث عادة قبيل انتخاب البابا الجديد ؛ ولبث بنقونوتو يرقب الفرص ؛ ولكنه ارتكب في تلك الأثناء جرماً جديداً ، وقتل رجلاً آخر من رجال البطانة يدعى بومبيو تحرش به ذات يوم بكنيسة القديس بطرس ، فسار إليه ولقيه على مقربة من منزله وطعنه بخنجره بين أصدقائه وأعوانه فألقاه صريعاً . ويقص علينا تشاليني هذا الحادث الدموي وأمثاله في عبارات صريحة هادئة ،